

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ ﴾

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الرَّحْمَنِ خَالِقِ الرَّحِمِ وَرَاحِمِ الرَّاحِمِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ وَأَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، الْهَادِي الْأَمِينُ، مَنْ أَتَىٰ عَلَيْهِ رَبُّهُ بِقَوْلِهِ: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾^(١)، ﷺ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَأَتْبَاعِهِ الْبِرَّةِ الْمُتَّقِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - تَتَّالُوا رِضَاهُ، وَتَكُونُوا مِمَّنْ أَحَبَّهُ وَارْتَضَاهُ، وَتَقْبَلَ عَمَلَهُ وَاصْطَفَاهُ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾^(٢).

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ:

إِنَّ مِنْ حِكْمَةِ اللَّهِ الْبَالِغَةِ أَنْ خَلَقَ النَّاسَ أَرْحَامًا؛ فَكَانَ ذَلِكَ نِعْمَةً مِنْ أَعْظَمِ النِّعَمِ، وَمِنَّةً مِنْ أَكْرَمِ الْمِنَنِ، وَقَدْ صَوَّرَ النَّبِيُّ ﷺ الرَّحِمَ فِي صُورَةٍ غَايَةِ فِي الْحُسْنِ، فَالرَّحِمُ كَالشَّيْءِ الْحَارِّ الَّذِي تَذْهَبُ حَرَارَتُهُ بِالْمَاءِ، فَيَكُونُ عَلَى الْوَاصِلِ بَرْدًا وَسَلَامًا، فَقَالَ فِي مَحْفَلٍ جَمَعَ فِيهِ رَحِمَهُ: ((غَيْرَ أَنْ لِي بِكُمْ رَحِمًا سَابُلُهَا بِبِلَالِهَا))، وَإِنَّ فِي هَذَا الْهَدْيِ النَّبَوِيِّ إِشَارَةً مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ إِلَى أَنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ نَجَاةٌ مِنَ الْعِقَابِ، وَبَابٌ وَاسِعٌ مِنْ أَبْوَابِ الثَّوَابِ، وَإِذَا كَانَ نَبِيُّ الرَّحْمَةِ ﷺ يَقُولُ هَذَا الْقَوْلَ فِي شَأْنِ رَحِمِهِ الَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ، فَكَيْفَ بِشَأْنِهِ فِي رَحِمِهِ الَّذِينَ آمَنُوا بِدَعْوَتِهِ وَاتَّبَعُوا هُدَاهُ! ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾^(٣).

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا:

(١) سورة الأنبياء/ ١٠٧
(٢) سورة فصلت/ ٣٠
(٣) سورة الأنبياء/ ١٠٧



لَقَدْ سَمَى اللَّهُ تِلْكَ الْعَلَاقَةَ الَّتِي تَكُونُ بَيْنَ ذَوِي الْقُرْبَى رَحْمًا؛ فَاشْتَقَّ لَهَا اسْمًا مِنْ اسْمِهِ الرَّحْمَنِ؛ لِتَكُونَ تِلْكَ الْعَلَاقَةُ قَائِمَةً عَلَى الرَّحْمَةِ؛ فَيُوَاسِي غَنِيَّهُمْ فَقِيرَهُمْ، وَيُعِين قَوِيَّهُمْ ضَعِيفَهُمْ، وَيَأْخُذُ مُحْسِنُهُمْ بِيَدِ مُسِيئِهِمْ، وَيَرْحَمُ كَبِيرَهُمْ صَغِيرَهُمْ، وَيُوقِرُ صَغِيرَهُمْ كَبِيرَهُمْ، وَحَسَبُ ذِي الرَّحْمِ جَائِزَةٌ أَنَّ اللَّهَ يَصِلُهُ، يَصِلُهُ بِكُلِّ خَيْرٍ؛ فَتَجِدُهُ مُبَارَكًا لَهُ فِي عُمُرِهِ، مُوَفَّقًا فِي عَمَلِهِ، مُيَسِّرًا لَهُ فِي مَالِهِ، مُحَاطًا بِعِنَايَةِ اللَّهِ فِي أَهْلِهِ، فَرِحًا بِرَحْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ، وَمَنْ قَطَعَ رَحْمَهُ كَانَ مَحْرُومًا مِنْ تِلْكَ الْهَبَاتِ، مَقْطُوعًا عَنْ تِلْكَ الْعَطَايَا وَالْحَسَنَاتِ، وَحَسْبُهُ خِزْيًا أَنَّ اللَّهَ يَقْطَعُهُ كَمَا قَطَعَ رَحْمَهُ، وَإِنَّ هَذِهِ الْمَعَانِي الَّتِي يَطُولُ الْقَوْلُ بِشَرْحِهَا اجْتَمَعَتْ فِي الْحَدِيثِ الْفُؤَسِيِّ الَّذِي يَرَوِيهِ النَّبِيُّ الْكَرِيمُ عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ((أَنَا الرَّحْمَنُ، خَلَقْتُ الرَّحِمَ، وَاشْتَقَّضْتُ لَهَا اسْمًا مِنْ اسْمِي، مَنْ وَصَلَهَا وَصَلَتْهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعْتُهُ)). وَلَمَّا كَانَتْ صِلَةُ الرَّحِمِ - عِبَادَ اللَّهِ - رَأْسَ كُلِّ خَيْرٍ، وَسَبَبًا لِلتَّعَاوُنِ عَلَى الْبِرِّ وَالنَّقْوَى الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ، كَانَ قَطْعُهَا أَيْضًا قَرِينَ الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ، وَسَبَبًا لِلطَّرْدِ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ، أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ، أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْعَانَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ (١). وَقَدْ نَتَى اللَّهُ بِذِكْرِ حَقِّ الْأَقْرَبِينَ بَعْدَ ذِكْرِ حَقِّهِ وَحَقِّ الْوَالِدِينَ، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا دَلَالَةٌ عَلَى عِظَمِ حَقِّهِمْ، وَحِضُّ عَلَى الْقِيَامِ بِوَاجِبِهِمْ. فَلَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ الْإِنْفَاقَ ذَكَرَ حَقَّهُمْ بَعْدَ حَقِّ الْوَالِدِينَ، فَاسْمَعُوا - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - جَوَابَ رَبِّكُمْ لِمَنْ سَأَلُوهُ عَمَّا يُنْفِقُونَ ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ (٢). وَلَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ إِيْتَاءَ الْمَالِ عَلَى حُبِّهِ فِي آيَةِ الْبِرِّ ذَكَرَ ذَوِي الْقُرْبَى أَوْلًا فَقَالَ: ﴿ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ ﴾ (٣). وَلَمَّا قَضَى اللَّهُ قَضَاءَهُ الَّذِي لَا يُرَدُّ بِعِبَادَتِهِ وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِالْإِحْسَانِ إِلَى الْوَالِدِينَ، ذَكَرَ حَقَّ ذِي الْقُرْبَى فَقَالَ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ وَآتَى ذَا

(١) سورة محمد/ ٢٢-٢٤
(٢) سورة البقرة/ ٢١٥
(٣) سورة البقرة/ ١٧٧



الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ بَذِيرًا ﴿١﴾ . وَكَمْ مِنْ إِنْسَانٍ عَظِيمِ الْإِحْسَانِ إِلَى أَقْرَبِيهِ مَا كَانَ يَشْعُرُ بِهِ النَّاسُ، فَلَمَّا لَحِقَ بِرَبِّهِ انْتَشَرَ شَذَا فِعْلِهِ الْجَمِيلِ، وَذَاعَ صِيْتُ إِحْسَانِهِ؛ لِيُنْقَلِبَ لَهُ دَعَوَاتٍ تَرْفَعُهُ عِنْدَ اللَّهِ، وَحَسَنَاتٍ تَمْتَلِي بِهَا صَفَحَاتُهُ ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مِثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ﴿٢﴾ .

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرَ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الْكَرِيمُ.

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَاتَّقُوا اللَّهَ -عِبَادَ اللَّهِ- وَاعْلَمُوا أَنَّ صَلَاةَ ذِي الرَّحْمِ لَيْسَتْ مَقْصُورَةً عَلَى زِيَارَتِهِ، بَلْ صَلَاةَ الرَّحْمِ لَهَا وَجُوهٌ كَثِيرَةٌ، وَصُورٌ مُتَنَوِّعَةٌ، وَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ صَلَاةِ ذِي الرَّحْمِ نُصْحَهُ وَإِرْشَادَهُ، وَتَوْجِيهَهُ وَحَثُّهُ عَلَى الْإِسْتِقَامَةِ وَمُدَاوَمَةِ الطَّاعَةِ؛ فَمَنْ رَأَى فِي قَرِيبِهِ اعْوَجَاجًا قَوْمَهُ، أَوْ خَطَأً صَحَّحَهُ وَوَجَّهَهُ، بَلْ إِنَّ الْأَقْرَبِينَ أَوْلَى النَّاسِ بِالنَّصِيحَةِ وَالْإِرْشَادِ، فَقَبْلَ أَنْ يَقُولَ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿٣﴾ . قَالَ لَهُ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ ﴿٤﴾ . وَإِذَا كَانَ الْإِنْسَانُ مَأْمُورًا أَنْ يَقُولَ لِلنَّاسِ حُسْنًا فَإِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِأَحْسَنِ ذَلِكَ الْحُسْنِ مِنَ الْقَوْلِ هُمْ أَوْلُو الْأَرْحَامِ. وَمِنْ وَجُوهِ صَلَاةِ الرَّحْمِ عَظِيمَةِ الْقَدْرِ عِنْدَ اللَّهِ السُّؤَالُ عَنِ فَقِيرِهِمْ وَقَضَاءُ حَوَائِجِهِ، وَمَنْ كَانَ قَادِرًا عَلَى فَتْحِ بَابِ رِزْقٍ لِقَرِيبِهِ فَتَحَ اللَّهُ لَهُ بَابًا مِنْ أَبْوَابِ مَعُونَتِهِ ((فَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ)). وَعَلَى الْمُؤْمِنِ الْحَقِّ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ رَبَّهُ، فَلَا يَحْمِلَنَّهُ رَحْمُهُ عَلَى الْوُقُوفِ مَعَ قَرِيبِهِ فِي ظُلْمٍ أَوْ شَهَادَةِ زُورٍ أَوْ تَقْدِيمِهِ فِي أَمْرٍ لَيْسَ أَهْلًا لَهُ عَلَى حِسَابِ الْآخِرِينَ، بَلْ عَلَيْهِ أَنْ يَدُورَ حَيْثُ دَارَ الْحَقِّ، مُسْتَجِيبًا لِنِدَاءِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوْمِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ

(١) سورة الإسراء/ ٢٦
(٢) سورة الأنعام/ ١٦٠
(٣) سورة الحجر/ ٩٤
(٤) سورة الشعراء/ ٢١٤



وَلَوْ عَلَيَّ أَنْفُسِكُمْ أَوْ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوُّا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١﴾ .

هَذَا، وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ الْأَمِينِ، فَقَدْ أَمَرَكُم بِذَلِكَ حِينَ قَالَ: ﴿ إِنْ أَلَّفَ اللَّهُ وَمَلَئِكَتَهُ، يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ ﴿٢﴾ .

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَسَلَّمْتَ عَلَى نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنْ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَعَنْ جَمْعِنَا هَذَا بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعِنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُومًا، وَلَا تَدْعُ فِينَا وَلَا مَعَنَا شَقِيًّا وَلَا مَحْرُومًا .

اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ وَاهْدِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْحَقِّ، وَاجْمَعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الْخَيْرِ، وَاكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاكْتُبِ السَّلَامَ وَالْأَمْنَ لِعِبَادِكَ أَجْمَعِينَ .

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ بِكَ نَسْتَجِيرُ، وَبِرَحْمَتِكَ نَسْتَعِيثُ إِلَّا تَكَلَّنَا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَلَا أَدْنَىٰ مِنْ ذَلِكَ، وَأَصْلِحْ لَنَا شَأْنَنَا كُلَّهُ يَا مُصْلِحَ شَأْنِ الصَّالِحِينَ .

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزِّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْهُ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِ نِعْمَتَكَ، وَأَيِّدْهُ بِنُورِ حِكْمَتِكَ، وَسَدِّدْهُ بِتَوْفِيقِكَ، وَاحْفَظْهُ بِعَيْنِ رِعَايَتِكَ .

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثِمَارِنَا وَزُرُوعِنَا وَكُلِّ أَرْزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ .

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ .

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِكُلِّ مَنْ آمَنَ بِكَ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ .

